العناصر المكونة للدين:

يتكون الدين من مكونات أساسية ثلاثة هي: (المعتقد والطقس والأسطورة) والتي يمكن اعتبارها مكونات نظرية .وهناك مكونات ثانوية للدين التي تظهر بصفتها عوامل مساعدة مشروطة بسياقات تاريخية اجتماعية، وهي الأخلاق والشرائع، والتي يمكن اعتبارها عملية أو تطبيقية .

1-2/ المعتقد:

هو البنية النظرية للدين، والتعبير الأول عن الخبرة الدينية الشعورية جماعيًا عن طريق المفاهيم الفكرية والعقلية، وجوهر المعتقد هو الجزم بوجود قوة ما قدسية منفصلة عن العالم الدنيوي، ويتألف عادًة من بعض الأفكار البسيطة الواضحة التي ترسم صورة عن القدسي، ويأخذ المعتقد أشكالًا من التعقيد مع مرور الزمن والأجيال في بلورته وتأصيل قواعده، فالمعتقد شأن جماعي، ويخرج العلم الإلهي "الثيولوجي" بعد تطور المعتقد ورسوخه، ويسمى علم اللاهوت أو علم الكلام (إسلاميًا).

كما يشكل المعتقد المركز الفكري الذي تصوغه تصورات وأفكار الجماعة الدينية والذي يصبح المصدر الأول الذي ينظم مكونات الدين الأساسية والثانوية الأخرى، ويتألف المعتقد عادة من عدد من الأفكار الواضحة والمباشرة التي تعمل على رسم صور ذهنية لعالم المقدسات وتوضح الصلة بينه وبين الإنسان. وغالبا ما تصاغ هذه الأفكار على شكل صلوات وتراتيل، فضمن هذا الشكل من الأدب الديني نستطيع البحث عن المعتقدات الأصلية والمباشرة لجماعة من الجماعات.

ويأخذ المعتقد أشكالا أكثر تعقيدا وترابطا من تلك الإفراد الممزوجة بالعاطفة في الأديان الأكثر تطورا وشمولا، بحيث تضم الكتب المقدسة تفاصيل المعتقد وأساسياته.

يعد المعتقد أو أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت من حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني. ويبدو أن توصل الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد هو حاجة سيكولوجية ماسة، لأن المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول الذي يعمل على ضبط وتقنين أحوالها. فبعد تلك المواجهة الانفعالية مع القدسي في أعماق النفس، يتدخل عقل الإنسان من أجل صياغة مفاهيم من شأنها إسقاط التجربة الداخلية على العالم الخارجي، وموضعة القدسي هناك. وهنا يتم فرز موضوعات معينة، أو خلق شخصيات وقوى معنوية، تستقطب الإحساس بالمقدس وتجذبه إلى خارج النفس، وبذلك تتكون الصيغ الأولية للمعتقدات.[1]

[1]- فراس سواح، دين الإنسان، ص ، 47.

والمعتقد الديني هو شأن الديني هو شأن جمعي بالضرورة.، لأن عقول الجماعة تعمل على صياغته، كما تعمل الأجيال المتلاحقة على صقله وتطويره. وهو شأن جمعي لأكثر من سبب، فأولاً من غير الممكن أن يقوم كل فد من أفراد الجماعة بصياغة معتقد خاص به، بما يستدعي ذلك من سلوك وأفعال سوف تتضارب حتما مع ما يبادر به الآخرون. وثانيا أن دوام واستمرار أي معتقد يتطلب استمرار عدد كبير من الأفراد وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه. من هنا نفهم لماذا يسعى مؤسسوا الأديان الوضعية وأصحاب المذاهب الدينية إلى التبشير بأفكارهم بين الناس وحثهم على اعتناقها، ذلك أنهم يجدون في هذا السعي ضمانتهم الوحيدة لحياة معتقداتهم واستمرارها.[2]

2-2/ الطقس:

يمثل الطقس الجانب الانفعالي والعملي من الدين، وعن طريق الطقس يظهر المعتقد من كوامنه الذهنية والنفسية إلى عالم الفعل، وإذا كان المعتقد حالة ذهنية، فإن الطقس حالة فعل من شأنها إحداث رابطة، وإذا كان المعتقد مجموعة من الأفكار المتعلقة بعالم المقدسات، فإن الطقس مجموعة من الأفعال المتعلقة بأسلوب التعامل مع ذلك العالم فهو عملية اقتحام لعالم المقدس وفتح قنوات اتصال دائمة معه.

وإذا كان المعتقد شانا أساسيا من شؤون الأنبياء والكهنة ورجال الدين وخاصة الناس فإن الطقس شأن شعبي يتيح بطبيعته مساحة أوسع للناس فرغم أن الخاصة تشرف عليه وتوجهه، لأن الناس يعملون على تحويله إلى عادة راسخة تتناقلها الأجيال، وليس الطقس فقط نظاما من الإيماءات التي تترجم إلى الخارج ما نشعر به من الإيمان الداخلي، بل هو أيضا مجموعة الأسباب والوسائل التي تعيد خلق الإيمان بشكل دوري. فالطقس والمعتقد يتبادلان الاعتماد على بعضهما بعض، فرغم أن الطقس يأتي كنتائج لمعتقد معين إلا أنه يعمل على خدمته، ولأنه هو نفسه ما يلبث أن يعود إلى التأثير على المعتقد فيزيد من قوته وتماسكه، بما له من طابع جمعي يعمل على تغيير الحالة الذهنية والنفسية للأفراد وهذا الطابع هو الذي يجدد حماس الأفراد ويعطيهم الإحساس بوحدة لإيمانهم ومعتقداتهم. فالطقس، رغم قيامه على مجموعة من الإجراءات المرتبة والمنسقة مسبقًا، والتي تم القيام بها مرارًا وتكرارًا، إلا أنه يبدو جديدا كلما أكدت الجماعة على الأداء المشترك له. لهذه الأسباب يظهر الطقس كأحد أهم عناصر الظاهرة الدينية بروزًا، ويقدم نفسه كأول معيار تفرق بواسطته الظاهرة الدينية عن غيرها من الظواهر، لأن الدين لا يبدو للوهلة الأولى نظاما من الأفكار، بل نظاما من الأفعال والسلوكات، ولذلك فالمؤمن هو إنسان يسلك ويعمل بتوجيه من تلك الأفكار.[3]

---

[2]- المرجع نفسه، ص 49.

[3]- نفسه: ص ، 53- 54.

وتعتمد الديانات السحرية والبدائية على الطقوس أكثر من اعتمادها على المعتقد وتضمحل الأساطير فيها، فالطقس هو الفعل الديني الواضح الذي يقوم به شخص صاحب كريزما تختلف تسمياته حسب الديانات. وهناك من يرى أن الطقس هو مصدر المعتقد والأسطورة لأن الفعل يسبق التفكير والكلام ولأن العاطفة تسبق العقل، ولذلك كان الطقس الوعاء الأول للدين والفن والعلم. ولا يمكن لأي دين القيام أو الاستمرار دون الطقوس. وكم من عقائد ارتفعت إلى المستوى الديني الرفيع، ولكنها في ظل غياب الطقوس اندرجت في التاريخ الفكري ولم تتبلور أو تتطور إلى ديانات حقيقية. وتتنوع الطقوس الدينية حسب نوع الأديان تكوينها، فهناك طقوس الخصب والنماء والطقوس الجنائزية وطقوس الطبيعة في استنزال المطر وطقوس الصلاة والعزاء والحج والصيام، فطقوس الطبيعة التي لا حصر لها تنتظم وفق تفاصيل العقيدة الدينية وتشكل جانبها العملي.

تعد الصلاة في المعابد وإنشاء التراتيل فيها نموذج للطقس، كما نجد في حلقات الصوفية وما يؤدي فيها من موسيقى إيقاعية ورقص وذكر، مثالا آخر على الطقس الديني المرتبط بالخبرة الدينية العميقة، فمن خلال رقصات معينة وموسيقى إيقاعية خاصة وتكرار صيغ كلامية ذات أثر خاص في النفوس.

3-3/ الأسطورة: عرفنا في محاضرة سابقة مفهوم الاسطورة وعلاقتها بالدين وخلصنا إلى أنّ الأسطورة تظهر من المعتقد الديني وتكون امتدادا طبيعيا له فهي تعمل على توضيحه وإغنائه وتثبيته في صيغه تساعد على حفظه وتداوله بين الأجيال، كما أنها تزوده بذلك الجانب الخيالي الذي يربطه بالعواطف والانفعالات الإنسانية

كما أنّ الأسطورة ترتبط بنظام ديني معين وتتشابك مع معتقدات ذلك النظام وطقوسه المؤسسة وهي تفقد كل مقوماتها كأسطورة إذا انهار النظام الذي تنتمي إليه، وتتحول إلى حكاية دنيوية تنتمي إلى نوع آخر من الأنواع الأدبية الشبيهة بالأسطورة، مثل الحكاية الخرافية والقصة البطولية. وقد تنحل بعض عناصرها في الحكاية الشعبية.

مما تقدم نرى أن المعتقد والطقس والأسطورة، هي المقومات المكونة للدين، والتي لا نستطيع التعرف على الظاهرة الدينية في تبديها المجتمعي، بدون التعرف عليها مجتمعة ومتعاونة. والحالة المثالية هي الحالة التي لا يطغى فيها أحد هذه العناصر على العناصر الأخرى، وإلى جانب هذه المكونات التي وصفناها بالأساسية، هناك مكونات ثانوية لا تلعب دورا أساسيا في تكوين الدين، وإنما تظهر كعوامل مساعدة، وضمن سياقات تاريخية واجتماعية معينة وهي:

4-2/ الأخلاق والشرائع الدينية:

يضع الدين عدد من الأوامر والنواهي والأعراف الاجتماعية التي تهدف لتنظيم الحياة العملية والاجتماعية والتي يضفي عليها الطابع المقدس، ففي الأصل تكون الأخلاق مستقلة عن الدين، فهي قواعد تنظيم سلوك وأعراف مجموعة من البشر فيما بينهم، وقد أدى تأييد الدين ودعمه لقواعد أخلاقية مقدسة في اتصالهما، وأدت عوامل مثل اجتماع السلطة السياسية مع الدينية "الكاهن" أو الشيخ الذي يؤدي إلى تحول لوائح التابو إلى قواعد أخلاقية وتوسعها على أعراف الحياة في جمع الأخلاق في زمرة المقدس، ومن الأخلاق العامة وجد التشريع الذي يُفرض من سلطة سياسية، وقد حافظت بعض الديانات على الانفصال بين الدين والأخلاق مثل الديانات الإغريقية والصينية.

أ/ الأخلاق الدينية: يمكن لنا العثور على ما يشبه الأخلاق الدينية، وذلك في مؤسسة " التابو" أو " المحرم" التي يمكن أن تشكل نقطة اتصال فيما بين الأخلاق الاجتماعية والأخلاق الدينية، ونستطيع أن نتبين فيها الأخلاق الدينية بشكلها الجنيني.

يتشكل " التابو" في المجتمعات التقليدية من عدد من " المحرمات" أو " التابوهات" المتصلة بالعلاقة فيما بين العالم الدنيوي وعالم المقدسات، وهذه المحرمات، لا يعرف لها مشرع أو مستن، وتجد مؤيداتها في قوة فوق الطبيعة، سواء كانت هذه القوة من مصدر إلهي أم من مصدر سحري، حيث القوى العاقلة غير المشخصة، ويأتي تأييد القوة للائحة المحرمات بتدخلها الفوري وبرد فعل آلي، فيطال الجزاء كل من اعتدى على حدود " التابو"، كأن يصاب بالشلل العضو الذي استخدمه في التعدي على المحرم، أو يداهمه مرض ما، أو يفاجئه الموت، وقد تتدخل الجماعة في بعض الأحيان لتسبق العقوبة التلقائية بعقوبة إجرائية كأن تفرض على المذنب العزل أو النفي أو الإعدام أحيانا، وذلك تبعا لنوع العقوبة المفروضة ومدى خطورة فعل التعدي أو الانتهاك.

هناك أساس مشترك بين محرمات " التابو" ولوائح الأخلاق الدينية، إذ كلامها يجد تأيده في قوة خارجة عن الإنسان، وكلامها ينصاع له الأفراد دون مناقشة أو محاكمة عقلية.

ولكن بينما تقتصر محرمات " التابو" على قواعد تتعلق بعدم تعدي حدود قوى إلهية أو سحرية عاقلة فإن لوائح الأخلاق الدنية تتجاوز ذلك لتشمل العلاقات المتبادلة ضمن الجماعة. ومن هنا كما يرى " فراس السواح" كان الافتراض بأنه عند مرحلة معينة من تطور المجتمعات القديمة، اتسعت دائرة " التابو" لتستوعب تدريجيا بعض القواعد الأخلاقية التي كانت حتى ذلك الوقت شانا دنيويا تنظمه الأعراف القبلية، في الوقت الذي أخذت فيه التحريمات القديمة تفقد سطوتها مع تغير المفاهيم الدينية.[4]

[4]– فراس السواح، المرجع السابق، وأيضا: Claude Rivière op cit, pp 102. 104.

ب/ الشرائع الدينية:

الشرائع هي جزء من الأخلاق العامة وقد تم تأييدها بالعقوبات التي تفرضها السلطة القائمة، وأول القواعد التشريعية، لم تكن سوى قواعد أخلاقية ذات قيمة استثنائية لنظام الجماعة، جرى دعمها بالقوانين التي تلزم الأفراد بها. فالسرقة مثلا: تبقى مسألة من مسائل الأخلاق العامة التي تجد مؤيداتها في الروادع الذاتية، إلى أن تؤيد بعقوبة تفرضها الجماعة، عندها تتحول إلى قضية تشريعية رغم استمرار انتمائها إلى المجال الخلقي.

ولأن الأخلاق مرتبطة بالدين كان لا بد من ظهور الشريعة الدينية، خصوصا في الديانات الشمولية التي ربطت بشكل كامل بين الحياة الروحية والحياة الاجتماعية. ففي " الدين الإسلامي مثلا نجد نوعين من الأحكام الأخلاقية:

- الأولى مؤيدة بالعقوبات ويدخل في جملة الشرائع. مثل الردة أو عدم إعطاء الزكاة .
- الثانية غير مؤيدة بالعقوبات ولكنها تبقى في مجال الأخلاق. مثل قتل النفس .